عدد خاص

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد التاسع - العدد الرابع - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

٤

القرن الخامس عشر الهجري

الأبحاث والدراسات

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

خزائن الكتب الإسلامية القديمة في الكوفة

بقلم

محمد سعيد الطريحي

الكوفة ـ محافظة النجف

تمهيد

اهتم العرب قبل الاسلام بالسماع والحفظ في تناقل الشعر والاخبار اكثر من اهتمامهم بالكتابة والتدوين ، فكانت صدور الرواة منهم تعي القصائد الطوال واخبار العرب السابقين وتزخر بالامثال السائرة والخطب البليغة يتبارون فيها ويتناقلونها باسواقهم الادبية وفي مجتمعاتهم كلما التقوا او تعارفوا . ومن الثابت انهم عرفوا التدوين منذ العهود البائدة ودونوا اخبارهم على الاحجار والصخور ، الا ان قلة ما وصلنا من هذه المدونات يفسر لنا اهتمامهم النادر بالتدوين واقتصار الكتابة على فئة قليلة منهم . وكان ظهور الاسلام فاتحة عهد جديد للتدوين عند العرب فانتشرت الكتابة مع دعوة الاسلام انتشارا واسعا ، وقد حث عليها الرسول الكريم (ص) في احاديثه الشريفة ، ومن ذلك قوله « قيّدوا العلم بالكتابة » وقوله « العلم صيد والكتابة قيد » ، وفي اعقاب غزوة بدر كان من طرق مفاداة اسرى المشركين ان يعلم الاسير عشرة من المسلمين الكتابة ، وكان لرسول الله (ص) كتّاب يكتبون ما يوحى له (ص) بالخط المقرر النسخي ونظراً لاهتمام الرسول (ص) بكتابة القرآن الكريم فقد كان الكتبة يكتبون الايات القرآنية في العسب واللخاف واحياناً في الحرير وقطع الاديم والاكتاف على عادة العرب بالكتابة على تلك الاشياء ، وكان يطلق عليها « الصحف » وعلى تلك « الصحف » كتب لرسول الله (ص) ، وجاء في الروايات الصحيحة ان القرآن كان مكتوباً بين يديه (ص) في اللخاف والعسب واكتاف الابل ومما رواه البخاري عن زيد بن ثابت انه قال :ـ « تتبعت القرآن اجمعه من اللخاف والعسب ، وصدر الرجال » ولم يكن لدى العرب من الكتب المدونة في صدر الاسلام سوى القرآن ، وقد ازدادت نسخه زيادة كبيرة في مدة وجيزة ، واذا اخذنا بروايات بعض المؤرخين فان الكتب العربية في تلك الفترة تشتمل اضافة الى القرآن الكريم ، على ما الفه زهير بن ثابت في علم الفرائض ، وعبدالله بن عمر في علم الحديث ، وخالد بن يزيد في بعض العلوم ، وما دونه عمر بن عبدالعزيز من الحديث الشريف وبعثه في كتاب الى الامصار الاسلامية ، ويروى بهذا الصدد ، ان عبدالحكم الجمحي فتح ناديا في مكة جعل فيه دفاتر من كل علم وذلك في النصف الاول من القرن الاول الهجري .

وفي خلافة العباسيين اختلف الامر كثيراً عما كان عليه في صدر الاسلام حيث اعتنى العرب في العصر العباسي بفن التدوين ، ووضعت مسانيد الحديث ، والفت الكتب في كل صقع واهتموا حينئذ بانشاء دور الكتب وهي عبارة عن خزانات عامة للكتب يخصص احد جوانبها لمطالعة الكتب ونسخها وتكون الدور المذكورة موئلا للعلماء والباحثين يناقشون فيها ويبحثون مختلف المواضيع وتقوم تلك الدور احياناً وبصورة عرضية بمهمة تعليمية ، لاسيما ان بعض روادها يقصدوها من اماكن بعيدة ويقيمون فيها مدة طويلة ، وان القائمين على تلك الخزانات يسهمون بنفقات اولئك الرواد ، ويمكن تصنيف خزانات الكتب التي ظهرت في هذه الفترة ، على ثلاثة اصناف :ـ

(١) خزانات عامة وهي خزانات الكتب الملحقة بالمدارس والمساجد والربط والمارستانات وكانت

تعير الكتب للطلاب واصبح لهذه الخزانات نظم تسيّر عملية الادارة والاعارة والاستنساخ .

(٢) خزانات خاصة وهي الخزانات الشخصية التي كانت في بيوت الخلفاء والولاة والعلماء والادباء والاثرياء من الناس .

(٣) خزانات بين العامة والخاصة وكان استعمالها مقتصرا على طبقة معينة من العلماء والطلاب . ومن اشهر الخزانات في ذلك العهد خزانة دار الحكمة التي انشأها الرشيد وازدهرت كثيراً في خلافة ابنه المأمون ، وقد حوت هذه الخزانة على العديد من الكتب القيمة وكان فيها الى جانب الكتب العربية المخطوطات اليونانية والفارسية والسريانية وغيرها .

وفي جميع الخزانات العامة وبعض الخزانات الخاصة اماكن للنساخة والترجمة والتجليد وكان الكتبة يتأنقون كثيراً في اختيار الورق والحبر الذي يستعملونه ويزينون فواتح الكتب ويموهونها بالذهب على انواع واشكال لاتحصى ، وامتازت الكتب الخطية بالخطوط الجميلة المنسوبة الى اشهر الخطاطين كابن البواب ، وابن مقلة ، وياقوت المستعصمي ، وكانت الكتب تعار مقابل رهن حافظ لقيمتها ، اما ادارة خزانة الكتب فكان يتولاها احد العلماء المشهورين ويطلق عليه « الخازن » يساعده في ذلك المشرفون والمناولون وقد خصصت لهم الرواتب والجرايات .

وقد ادى هذا الولع الشديد بالكتب واقتنائها في البلاد العربية والاسلامية الى ظهور صنعة الوراقة وتشمل هذه الصنعة نسخ الكتب وتجليدها وبيعها وبيع الورق وسائر ادوات الكتابة كالاقلام والحبر وغير ذلك ، وكان الوراقون يعنون بتزويق بعض الكتب الخاصة وتصويرها وتذهيبها استجابة لاذواق محبي الكتب من الامراء والاثرياء ، وقد نتج عن اقبال الناس على الكتب ازدهار صناعة الورق التي تعلمها العرب من الصينيين ، ومن العرب انتقلت الى سائر انحاء اوربا فكانت من العوامل المهدة للنهضة العلمية الحديثة .

وكان في بغداد ودمشق والقاهرة والاندلس وغيرها من حواضر البلاد الاسلامية المئآت من دكاكين الوراقين ، ولم يكن الوراقون مجرد باعة للكتب او نساخين لها ، بل كان منهم علماء وادباء ذوو ثقافة عالية كابن النديم وياقوت الحموي وابي حيان التوحيدي وابي موسى الحامضي وابن الهيثم ، ويجتمع في دكاكين الوراقين عادة العلماء والفلاسفة والادباء فيقرأون الكتب ويناقشونها ويتناظرون في مختلف فنون العلم والمعرفة . واصطلح العرب على الورق ابعاد قياسية وخصصوا كلا منها لنوع من الكتابات فكانت الورقة الكاملة تسمى (الطومار) ويكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار ، وللامراء من نصف طومار ، وللعمال والكتاب من ثلث طومار ، وللتجار واشباههم من ربع طومار ، وللحساب والمساح من سدس طومار ، ومن انواع الورق التي شاعت في البلاد العربية والاسلامية هي : السليماني ، والطلحي ، والنوحي ، والفرعوني ، والجعفري ، والطاهري ، والخرساني ، وغيرها ، وبالرغم من توفر الورق فقد كتبت بعض الكتب على الجلود والعظام والبردي .

وقد حفلت الحاضرة العربية الشهيرة « الكوفة » في عهد ازدهارها الفكري بحقل من الحقول الثقافية المهمة وهو ميدان « خزانات الكتب » الذي اسهم اسهاماً كبيراً في تطوير الحركة الفكرية فيها ، ورفد نهضتها بالعقليات الفذة من رجالها الذين كان لهم اعمق الاثر في التاريخ العربي والاسلامي .

ويمكننا استجلاء الصور الواضحة عن خزائن الكتب الكثيرة التي كانت تحفل بها الكوفة آنذاك في بيوت علمائها وادبائها يوم كانت مركزا لاعلام الحديث والتفسير واللغة والفقه والتاريخ والادب، وقد كثرت مؤلفاتهم ونتاج قرائحهم وبلغت الالاف المؤلفة ، ولاشك ان كل امير وعالم وشاعر واديب من هؤلاء الاعلام كان يحتفظ في داره بخزانة كتب قيمة فضلا عن المتعلمين واصحاب الذوق وعشاق الادب .

ونوه صاحب كتاب الحوادث الجامعة بشغف اهل الكوفة في المتاجرة بالكتب وانهم كانوا يجلبون الى بغداد الاطعمة ويبتاعون باثمانها الكتب النفيسة ..[1]

ومن الطبيعي ان تقوم الى جانب النهضة الادبية والتأليفية بشكل عام سوق للوراقة ، تضم

---

(١) **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة المنسوب لابن الفوطي « اخبار بغداد بيد المغول سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) بتحقيق د. مصطفى جواد . طبع ١٣٥١هـ .**

الكتب على اشكالها المتنوعة ومرت الاشارة الى ان هذه المهنة لم تكن مقصورة على بيع الكتب للراغبين في حيازتها وانما كانت محالها مراكز ثقافية ، فهي ملتقى للمفكرين الذين كثيرا ما كانت تدور بينهم الاحاديث والمناظرات في شؤون الفكر ، وتضم هذه المراكز كل الاعمال التي تستبق حياة الكتاب، من رواية ونسخ ، وتقوم فيها الخدمة المكتبية غير الموقوتة بزمن في ليل او نهار على خير ما تؤدي خزائن الكتب رسالتها ، ومما يتعلق بتاريخ الوراقة في الكوفة فقد جاءنا انها صارت في اواخر العصر الاموي مهنة غير مربحة[٢] ، الا انها استعادت نشاطاتها واحتفظت بحيويتها لقرون عدة ، وكان موقع سوق الوراقين بالكوفة في شمال المسجد الجامع على ما ذكر ماسنيون[٣] .

وعرف الوراقون بانهم ذوي علم وادب وذوق فني يهرع اليهم المتأدبون فيالسون ويجدون عندهم الهداية لخير ما يعرفون ، وتخرج من دكاكين الوراقة علماء وادباء قادوا النهضة الفكرية في العالم العربي والاسلامي ، وبرزت آثارهم بين التراث الثقافي كمراجع مهمة للدارسين ، وقد حدثنا التأريخ عن الشاعر الشهير ابو الطيب المتنبي الذي عاش في الكوفة انه كان في صباه يتردد الى حوانيت الوراقين هذه ، فأفاد مما فيها من كتب ومصنفات .

وذكر احد الوراقين الكوفيين لمحمد بن يحيى الزيدي ، قال : ما رأيت احفظ من هذا الفتى ابن عبدان قط ، قال محمد : كيف ؟ فقال : كان اليوم عندي وقد احضر رجل كتاباً من كتب الاصمعي يكون في نحو ثلاثين ورقة لبيعه ، قال : فاخذ ينظر فيه طويلا فقال له الرجل : يا هذا اريد بيعه وقد قطعتني عن ذلك ، فان كنت تريد حفظه فهذا بعيد في مثل هذه المدة . فقال له : ان كنت حفظته فمالي عليك ؟ قال : اهب لك الكتاب ، قال : فاخذت الدفتر من يده فاقبل يتلوه الى آخره ثم استلبه وجعله في كمه وقام[٤] وهذا مثل على ما كان يجري في محال الوراقين ومثله جم كثير .

ومن الجدير بالذكر ان وراقي الكوفة استعانوا بالجلود الكوفية لغرض الكتابة عليها والتجليد بها ومن اجل ذلك نشأت الى جانب مهنه الوراقه صنعه دباغه الجلود ، قال ابن النديم « ان الدباغه في اول الامر كانت بالنورة وهي شديده الجفاف ثم كانت الدباغة الكوفية تدبغ بالتمر وفيها لين .. »[٥] ، وورد ذكر الكوفية في نصوص عديده[٦] ، وحفلت كتب التواريخ والسير والتراجم باسماء العديد ممن اشتهروا باعمال الوراقة في الكوفة ونسبوا الى صنعتهم هذه ، ومن هؤلاء « الاشعريين الوراقين » الذين اشار لهم ابن حجر في ترجمته لمحمد بن قيس الاشعري[٧] .

ومنهم علي بن نعيم الصحاف احد رجال الحديث في الكوفه[٨] ، واسماعيل بن ابان الازدي الكوفي الوراق المتوفى سنه ٢١٦هـ[٩] ، ومساور الوراق[١٠] ، وبكر بن خارجة[١١] ، ومحمد بن عبدالواحد الكوفي[١٢] ، وابراهيم بن نعيم الصحاف الكوفي[١٣] ، والحسن بن حماد الوراق الصيرفي الكوفي[١٤] ، وسعيد بن محمد الوراق الثقفي الكوفي[١٥] .

وقبل ان اختتم هذا التمهيد ارى من الواجب الاشارة الى (الخط الكوفي) الخط الشهير الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالكتابة العربية

---

(٢) انظر الاغاني ٢\٨٧ .
(٣) خطط الكوفة \ ٢٦ صيدا .
(٤) انظر : سرح العيون لابن نباتة \ ١٥ وما بعدها ط الاولى مصر ١٩٥٧ ونشوار المحاضرة ٤\٢٤٦ والمنتظم ٧\٢٥ ولسان الميزان ١\١٦٠ .
(٥) ابن النديم : الفهرست \ ٣١ .
(٦) ومن ذلك قول الجاحظ في الحيوان ١\٦١ : « وقيل لابن داحة واخرج كتابي ابي الشمقمق ، واذا هو في ـ جلود كوفيه ـ ودفتين طائفتين بخط عجيب .. » .
(٧) ابن حجر : الاصابة ٣\٣٦٣ رقم ٨٨٠٤ .
(٨) رجال النجاشي ط طهران . رجال الطوسي \ ٣٣١ وفيه انه من اصحاب الامام الصادق .
(٩) ميزان الاعتدال ١\٢١٢ . تهذيب التهذيب ١\٢٦٩ ـ ٢٧٠ .
(١٠) شاعر كوفي من طبقة حماد عجرد فيه دعابة تلك الطائفة الا انه من المتصلين بالبيئات الدينية في الكوفة انظر الاغاني ١٦\١٦٨ . البيان والتبيين ٣\٨٨ . تهذيب التهذيب ١٠\١٠٣ .
(١١) شاعر كوفي ماجن ، كان يتكسب من الوراقة ويعاشر الشراب انظر الاغاني ٢٠\٨٧ ـ ٨٨ . الديارات \ ٢٤٢ .
(١٢) ممن عاصر صاحب الاغاني انظر الاغاني ٢\٣٤٩ . ومواضع اخرى من الاغاني .
(١٣) رجال الطوسي \ ٣٧ في اصحاب الصادق . جامع المقال للطريحي \ ٥٣ .
(١٤) المتوفى سنة ٢٣٨هـ . انظر تهذيب التهذيب ٢\٢٧٢. تقريب التهذيب ١\١٦٥ . خلاصة تهذيب الكمال \ ٦٦ الجرح والتعديل ١ ق ٢\٩ .
(١٥) انظر عنه : ميزان الاعتدال ٢\١٥٦ . تهذيب ٤\٧٧ المغني في الضعفاء رقم ٢٤٤٨ .

والذي ظهر ونشأ في الكوفة فقد لعب هذا الخط دوراً كبيراً في الحضارة العربية والاسلامية فاستعمل في كتابات المصاحف وقطع المسكوكات وفي العمائر وشواهد القبور وسائر الكتابات التذكارية . وانتشر الخط الكوفي في مختلف الاصقاع الاسلامية واستعمل كثيراً حتى تعددت قواعده وانواعه وقد ذكر التوحيدي من هذه القواعد في عصره اثنتا عشرة قاعدة هي : الاسماعيلي ، والمكي ، والمدني ، والاندلسي ، والشامي ، والعراقي ، والعباسي ، والبغدادي ، والمشعب ، والريحان ، والمجود ، والمصري ، بيد ان هذه القواعد لم تكن تختلف عن الخط الكوفي الاصيل وانما تميزت باسماء اقليمية نسبت اليها

والخط الكوفي الاصيل فيما حققه الدكتور ابراهيم جمعة كان على ثلاثة صور : (صورة يابسة صعبة الانقاذ ، ثقيلة لا يقوى عليها كل انسان ولا تتطلبها الا المناسبات الجليلة واصطلح عليها اسم الخط الكوفي التذكاري ، وصورة اخرى مخففة لينة تجري بها يد الكاتب في سهولة واسراع يستطيعها كل انسان حذق الكتابة ، وهي خط التحرير ، وصورة ثالثة يمكن اعتبارها جمعاً بين النوعين وهي الى الثقل اقرب لم يكن ليقوى عليها الا قلة من الناس وكانت تتصف والجلال لخط المصاحف على هيئتها) .

ولم تقتصر الكوفة على استعمال الخط الذي ابتكرته وانما تعدى ذلك الى استعمال الكثير من الخطوط الاخرى التي تميل الى الليونة لتدوين المراسلات والكتب الى عمال الدولة وولاتها يوم كانت حاضرة العالم الاسلامي ، وحذقت بعض الصور من خطوط الحجاز تطورت فيها او بقيت على حالتها التي كانت عليها ، استعملت في حينها للاغراض العلمية والادبية في تدوين الكتب والمصنفات .

خزانة

المشهد الطاهر

هذا المشهد من مشاهد الكوفة القديمة ، ولا تتوفر لدينا معلومات عنه ـ حتى الان ـ غير الخبر الذي ذكره علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني المتوفى سنة ٦٦٤هـ ـ ١٢٢٥م في كتابه : سعد السعود، ضمن فصل منه عقده لما رآه في كتاب منفرد نحو اربع كراريس بقالب الثمن قال عنه : « وجدته في وقف المشهد المسمى بالطاهر بالكوفة عليه مكتوب سنن أدريس ، وهو بخط عيسى محرره، نقله من السرياني الى العربي ، عن ابراهيم ابن هلال بن ابراهيم الصابي الكاتب من الكراس الثاني من اول قائمة منه في صفحتها الثانية ما لفظه : اعملوا واستيقنوا ان تقوى الله هي الحكمة الكبرى ، والنعمة العظمى والسبب الداعي الى الخير ، والفاتح « بواب الخير والفهم والعقل ... الخ[١٦] » .

خزانة

ابي بكر ابن الانباري

المتوفى ٣٢٨هـ ـ ٩٣٩م

ابو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الحسن الانباري ، من اهل الكوفة النابهين ، كان كثير الحفظ ، واسع الاطلاع وقد اكثرت كتب التراجم والرجال من مدحه والثناء على علمه الجم وادبه الغزير ، واتفقت المراجع على انه كان اكثر الكوفيين حفظاً للغة والشواهد ، قال ابو علي القالي : « كان يحفظ فيما ذكر ثلثمائة الف بيت شاهد في القرآن ، وله اوضاع شتى كثيرة ، وكان ثقة ديّناً صدوقاً وكان أحفظ من تقدم من الكوفيين . »[١٧] وقال محمد بن جعفر التميمي « ما رأيت احفظ من ابن الانباري ، ولا اغزر بحراً ، حدثوني عنه انه قال : احفظ ثلاثة عشر صندوقاً »[١٨] .. ومما روى عنه انه كان يملي في ناحية من المسجد (مسجد الكوفة) وابوه من ناحية اخرى ، ومرض فعاده اصحابه ، فرأوا من انزعاج والده امراً عظيماً ، فطيبوا نفسه ، فقال: كيف لا انزعج وهو يحفظ جميع ما ترون واشار الى خزانة مملوءة كتباً ..[١٩] .

---

(١٦) ابن طاووس : سعد السعود ، راجع ص ٣٩ وما بعدها . المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م .

(١٧) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ط ١ (١٧١ ـ ١٧٢) ط ٢ (١٥٣ ـ ١٥٤) .

(١٨) ابن العماد : شذرات الذهب ٢\٢١٥ .

(١٩) ياقوت : معجم الادباء ١٨\٣٠٦ (القاهرة) وانظر عن ابن الانباري : انباه الرواة ٣\٢٠١ . الانساب \ ٢٤٩ بغية الوعاة ١\٩١ . ابن خلكان ١\٥٠٢ . روضات الجنات \ ٦٠٨ . الفهرست \ ٧٥ . النجوم الزاهرة ٣\٢٦٩ . الانصاف \ ٦٧١ . همع الهوامع ١\٢١١ ـ ـ ١٦١ . شرح الرضي على الكافية ١\١٣٧ ـ ٢٢٣ . نزهة الالباب \ ١٩٧ ـ ٥٠٤ .

خزانة

داود بن نصير الطائي

المتوفى ١٦٠هـ ـ ٧٧٦م

او ١٦٥هـ ـ ٧٨١م

ابو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي الفقيه الزاهد المحدّث ، من اتباع التابعين بالكوفة ، حدّث عن عبدالملك بن عمير واسماعيل بن ابي خالد والاعمش ، وحدّث عنه عبدالله بن ادريس وجماعة . وكان قد قدم بغداد ايام المهدي العباسي ثم قفل راجعاً الى الكوفة وقد تبدلت حياته الى العزلة والانفراد مع الزهد والتقشف والعبادة حتى قال عنه محارب بن ثار « المحدّث الكوفي » : « لو كان داود في الامم الماضية لقصّ الله علينا من خبره » ، وروي ان سبب انقطاعه انه مرّ يوماً بامراة عند المقابر تقول : « يايحيى ليت شعري باى خديك بدا البلا . » . وذكر ابن سعد ان داود سمع الحديث والفقه وعرف النحو وعلم ايام الناس وامورهم ثم تعبّد فلم يكن يتكلم في ذلك بشيء . ووصفه ابن حبان بقوله: « الطائي العابد ابو سليمان ، ممن تخلى وتزهد وتجرد وتعبد ، وقنع بلزوم الفقر الجهيد ، والحمل على النفس بالجهد الشديد . »

اما ما جاء عن خزانة كتبه فانه عمد الى تفريقها في مياه نهر الفرات ، وقيل انه دفنها في الارض[٢٠] وفي ذلك ضياع لثروة فكرية لا تقدر ، والحق ان مثل هذه العادات غير محمودة وهي من الافات التي اضاعت علينا طائفة كبيرة من التصانيف ولم تكن الكوفة الحاضرة الوحيدة التي تعرضت لمثل هذه العادات فقد كانت منتشرة في الكثير من الحواضر ، ومرد ذلك قلة التدبير والجهل والتعصب وهذا جانب مما تعرضت له المكتبة العربية وواجهته من أحداث الحياة ، فضاع منها ما ضاع ، وبقى منها ما بقى مجهولا جمه غفير ، معروفاً قليله النزر .[٢١]

(٢٠) ذكر البقاعي في حاشيته على شرح الالفية للزين العراقي ، قال : سألت شيخنا ـ يعني ابن حجر العسقلاني ـ عما فعل داود الطائي ، وامثاله عن اعدام كتبهم ، ما سببه ؟ فقال : لم يكونوا يرون انه يجوز لاحد روايتها لا بالاجازة ولا بالوجادة ، بل يرون انه اذا رواها احد بالوجادة يضعف ، فرأوا ان مفسدة اتلافها اخف من مفسدة تضعف بسببهم [كشف الظنون ١\٥٢] .

(٢١) ترجم لداود الطائي في : طبقات ابن سعد ٦\٢٥٥ . مشاهير علماء الامصار \ ١٦٨ ـ ١٦٩ . المعارف \ ٥١٥ . طبقات الاولياء \ ٢٠٠ تاريخ بغداد ٨\٣٤٧ رجال الطوسي \ ٣ (اصحاب الصادق) . تهذيب التهذيب ٣\٢٠٣ . الجواهر المضية ١\٢٣٩ ـ ٢٤٠ و ٢\٥٣٦ ـ ٥٤٠ . وتاريخ البخاري ٣\٢٤٠ (الدال) وروضة الناظرين للوتري \ ٢٦ ـ ٣١ وزهاد الكوفة للطريحي ـ خ ـ ، طبقات الصوفية \ ٨٥ ، اللباب ٢\١٠٢ ، ٣\١٢٩ ، الكواكب الدرية ١\١٠٣ ، كشف المحجوب \ ١٠٩ ـ ١١٠ .

خزانة

محمد بن عبيد الله الفزاري

المتوفى ١٥٥هـ ـ ٧٦٧م

محمد بن عبيد الله بن ابي سليمان العرزمي الفزاري ، ابو عبدالرحمن احد المحدثين الكوفيين ممن سمع سماعاً كثيراً ، وفي طليعة من اخذ عنهم الحديث عطاء بن ابي رباح وعطية العوفي ومكحول ونافع وابي اسحاق السبيعي وغيره وعنه ابنه عبدالرحمن وشعبة وشريك . وكان يعد من القراء الصالحين وقد اخذ القراءة عن عاصم وروى القراءة عنه ابو عاصم الضرير ، وحدث عنه سفيان الثوري وآخر من روى عنه موتاً قبيصة وعرف بالعرزمي نسبة الى جبّانة عرزم في الكوفة وكان قد نزل بها ، وهو ممن دفن (خزانة كتبه) فكان بعد ذلك يحدث من حفظه ولذا ضعفه بعض المحدثين .[٢٢]

خزانة

علي بن مُسْهِر القرشيّ

المتوفى ١٨٩هـ ـ ٨٠٤م

ابو الحسن علي بن مسهر القرشي (بالولاء) الحافظ ، اخو عبدالرحمن قاضي جَبَل ، كان ثقة جمع الفقه والحديث ، وولي قضاء الموصل ثم قضاء ارمينيه ، ولما قدم ارمينية اشتكى عينه فقال قاض كان قبله للكحال : « اكحله بما يذهب عينه ثم اعطيك مالا » فكحله فذهب عينه ، فرجع الى الكوفة اعمى ، وعدّ في عصره من المحدثين الثقاة روى له البخاري ، ومسلم ، وابو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وكان قد دفن (خزانة) كتبه وهو من مُتْقِني اهل الكوفة .[٢٣]

(٢٢) ترجمته في غاية النهاية ٢\١٩٤ . ميزان الاعتدال ٣\٦٣٥ ـ ٦٣٧ . تهذيب التهذيب ٩\٣٢٢ ـ ٣٢٤ .

(٢٣) ترجمته في مشاهير علماء الامصار \ ٧١ . نكت الهميان \ ٢١٩ . تهذيب التهذيب ٧\٣٨٣ .

خزانة

سفيان الثوري

ولد ٩٧هـ ـ ٧١٥م

توفي ١٦١هـ ـ ٧٧٧م

أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبدالله الثوري ، من قبيلة عربية ، مضرية اصل ، شهيرة بالكوفة ، وكان من ائمة العلم في الحديث والفقه ،سمع الحديث على ابي اسحاق السبيعي الكوفي ، والاعمش ومن في طبقتيهما ، وكان من حفظة الحديث وغيره من العلوم وقد كتب له (المهدي العباسي) عهداً على قضاء الكوفة على ان لا يعترض عليه في حكم ودفعه اليه ، فاخذ العهد وخرج فرمى به في نهر دجلة واختفى بالبصرة وظل بها مستتراً عن (المهدي) حتى موته ، وقد اوصى الى عمار بن سيف في كتبه فمحاها واحرقها ، وللثوري جملة كتب الّفها في الحديث والتفسير والفقه وغيرها من العلوم ومن تصانيفه الجامع الكبير في الحديث والفرائض ، وتفسير القرآن ، وقد طبع الاخير في الهند بعناية السيد امتياز علي عرشي .

ذكر الخطيب البغدادي ان اصحاب الثوري كانوا يأتونه في بيت يحى بن سعيد القطان[٢٤] (وهو مكان اختفائه بالبصرة) فاذا سمع بصاحب حديث بعث اليه ، وكان يقول ليحيى : تريد مثل ابي وائل عن عبدالله ، اين تجد كل وقت هذا ؟ اذهب الى الكوفة فجئني بكتبي احدثك ، فاجابه يحى : انا اختلف اليك واخاف على دمي ، فكيف اذهب فاتي بكتبك !

وروى الخطيب ايضاً باسناده عن ابي الاسود الحارثي قال : خاف سفيان شيئاً فطرح كتبه « اي دفنها » فلما امن ، ارسل الىّ والى يزيد بن توبة المرهبي ، فجعلنا نخرجها فاقول : يا عبدالله ، وفي الركاز الخمس ، وهو يضحك فاخرجنا تسع قمطرات كل واحدة الى ها هنا، واشار الى اسفل من ثدييه قال ، فقلت له : اعرض لي كتاباً فحدثني به . وقد عقّب ابن الجوزي على دفن سفيان لكتبه قائلا : ان من دفن كتبه لسبب مشروع كأن يكون فيها اشياء مدخولة لم يستطع تمييزها او لم يشأ نشرها فلا بأس به ومثل ذلك فعل سفيان الثوري وبعض الاكابر .. هذا ولم يعقب سفيان احداً فاوصى بما عنده لاخته وولدها ولم يورث اخاه المبارك بن سعيد الثوري المتوفى سنة ١٨٠هـ[٢٥]

خزانة

عطاء بن مسلم الخفاف

ـ القرن الثاني للهجرة ـ

ابو مخلد عطاء بن مسلم الكوفي ، روى عن الاعمش ، وجعفر بن برقان ، ومحمد بن سوقة والثوري ، وواصل الاحدب وجماعة ، وحدّث عنه محمد بن المبارك الصوري ، وموسى بن ايوب النصيبي ، وكان من اهل الكوفة ، ممن اتسم بالصلاح والتقى وكان قد نزل حلب في فترة من حياته ، وورد عنه انه دفن ـ خزانة كتبه ـ قبل وفاته .[٢٦]

خزانة

ابي كريب الهمْداني

المتوفى ٢٤٣هـ ـ ٨٥٧م

او ٢٤٨هـ ـ ٨٦٢م

ابو كريب محمد بن العلاء بن كريب الهمداني الكوفي الحافظ ، وكان من محدثي الكوفة الاجلاء ، منزله بموضع يسمى المطمورة . وهو من مشايخ النسائي وممن روى الحروف عن ابي بكر عن عاصم وقد اكثر من رواية الحديث ، وورد عنه انه كان يحفظ ثلاثمائة الف حديث ، واوصى قبل وفاته بأن تدفن كتبه معه فدفنت[٢٧] .

---

(٢٤) يحى بن سعيد القطان كان من المحدثين البصريين توفي سنة ثمان وتسعين ومائة في البصرة ابن سعد ٢٩٢\٧.

(٢٥) ينظر عن سفيان : الفهرست \ ٣١٥ مصر ، تاريخ بغداد ١٦٠\٩ . صيد الخاطر \ ٢١ ـ ٢٣ . حلية الاولياء ٣٥٦\٦ طبقات الفقهاء \ ٦٥ ، تهذيب الاسماء ٢٢٢\١ . وفيات الاعيان ٢١٠\٣ . تهذيب التهذيب ١١١\٤ ـ ١١٥ . غاية النهاية ٣٠٨\١ . مشاهير علماء الامصار \ ١٦٩ ـ ١٧٠ . المعارف \ ٤٩٧ . النجوم الزاهرة ٣١٨\٢ . خزائن الكتب القديمة \ ١٩٢ . الغدير ٧٦\١ .

(٢٦) انظر تهذيب التهذيب ٢١١\٧ ـ ٢١٢ . والمغني رقم \ ٤١٢٨ .

(٢٧) انظر معجم البلدان ، مادة كوفة . الكامل في التاريخ ٧٩\٧ . تذكرة الحفاظ ٧٣\٢ . طبقات ابن سعد ٢٨٩/٦ ليدن . خصائص امير المؤمنين للنسائي / ٩٣ تهذيب التهذيب ٣٨٥\٩ . شذرات الذهب ١١٩\٢ . طبقات القراء ١٩٧\٢ .

خزانة

ابن عقدة

ولد ٢٤٩هـ ـ ٨٦٣م

توفى ٣٣٢هـ ـ ٩٤٣م

الحافظ ابو العباس احمد بن محمد بن سعيد بن عبدالرحمن بن زياد بن عبدالله بن زياد بن عجلان ، مولى عبدالرحمن بن سعيد ابن قيس الهمداني السبيعي ، والمعروف بابن عقدة ، وعقدة لقب لوالده « لقب به لعلمه بالتصريف والنحو ، وكان يورق بالكوفة ويعلم القرآن والادب » . وقال النجاشي عن ابن عقدة « هذا رجل جليل في اصحاب الحديث مشهور بالحفظ ،والحكايات تختلف عنه في الحفظ ، وكان كوفياً جارودياً على ذلك حتى مات » وذكره الدارقطني فقال : « اجمع اهل الكوفة انه لم يرو من زمن ابن مسعود احفظ من ابي العباس ابن عقدة ، وحدث احمد بن الحسن بن هرثمة قال : كنت بحضرة ابن عقدة ، اكتب عنه ، وفي المجلس هاشمي فجرى حديث الحفاظ ، فقال ابو العباس : انا اجيب الف حديث من اهل بيت هذا سوى غيرهم ـ وضرب بيده على الهاشمي ـ

ولابن عقدة كتب كثيرة منها : التاريخ ـ السنن ـ الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ـ فضل الكوفة ـ تفسير القرآن ـ صلح الحسن ومعاوية ـ الثوري ـ الطائر ـ النبي والصخرة والراهب ـ اخبار ابي حنيفة ومسنده ـ الولاية ومن روى حديث غدير خم ـ وغيرها . واشار فريق من الباحثين الى خزانة كتب ابن عقدة ، ومما قالوا : اراد ابو العباس ان ينتقل من الموضع الذي كان فيه الى موضع آخر ، فاستأجر من يحمل كتبه وشارط الحمالين ان يدفع لكل واحد منهم دانقاً ، ولكل كرّة ، فوزن لهم اجورهم مائة درهم ، وكانت كتبه ستمائة حمل ..(٢٨)

(٢٨) راجع تاريخ بغداد ٥\١٤ ـ ٢٣ ـ لسان الميزان ١\٢٦٣ فهرست الطوسي \ ٨٦ . معالم العلماء \ ٧٧ . المنتظم ٦\٣٣٦ . شذرات الذهب ٢\٢٣٢ . تذكرة الحفاظ ٣\٥٥ . منهج المقال \ ٤٣ . رجال النجاشي ٦٨ ـ ٥٩ ط الهند . ميزان الاعتدال ١\١٣٦ ـ ١٣٨ .

خزانة

قطب الدين الاقساسي الحسيني

المتوفى ـ ٦٤٥هـ ـ

ابو عبدالله النقيب قطب الدين الحسيني بن ابي محمد علم الدين الحسن بن علي بن ابي الحسين حمزة بن ابي الحسن محمد كمال الشرف بن ابي القاسم الحسن بن ابي جعفر محمد بن ابي الحسن علي بن محمد الاقساسي بن ابي الحسين يحى بن الحسين ذي الدمعة بن زيد الشهيد بن الامام علي زين العابدين ـع ـ الاقساسي ، العلوي ، الحسيني . احد شعراء وادباء الكوفة وساداتها الاشراف ، وكان ظريفاً ، طيب الفكاهة حاضر الجواب ، تولى نقابة النقباء ببغداد بعد عزل قوام الدين ابي علي الحسن بن معد المتوفى ٦٣٦هـ .

وروي انه بدرت منه كلمة على وجه التصحيف وهي « اردنا خليفة جديد » فاستاء لها الخليفة الناصر ، وامر بتقييده وحمله الى الكوفة وسجن فيها فلم يزل محبوساً الى ان استخلف للظاهر سنة ٦٢٣هـ فامر باطلاقه فلما استخلف المستنصر بالله سنة ٦٢٤هـ رفق عليه فقربه وادناه ورتبه نقيبا وجعله من ندمائه ومن شعره قوله يمدح الامير سليمان بن نظام الملك متولي المدرسة النظامية من قصيدة قالها سنة ٦٣٧هـ :ـ

يا بن نظام الملك يا خير من
تاب ومن لاقى به الزهد
يا بن وزير الدولتين الذي
يروح للمجد كما يغدو

ومنها :

لا يقصد الناس الى دورهم
لكن الى منزلك القصد
وخدمة الناس لها حرمة
وكان ما يفعله يبدو
والناس قد كانوا رقوداً وقد
ايقظتهم فانتبه الضد
ليهنك الرشد الى كل ما
يضل عنه الجاهل الوغد
وقمت لله بما يرتجي
بمثله الجنة والخلد
فاصبر فما يدريك غايات من
يطلب الا الحازم الجلد

وكانت له بالكوفة خزانة كتب جليلة القدر ولهذا قصدها الكثير من علماء ذلك الزمان وورد ان الفصيح علي بن ابي صالح العامري الكوفي المعروف بابن الصائغ المتوفى سنة ٦٥٠هـ الذي هو ايضاً من العلماء والادباء ، كان خازناً لكتب هذه الخزانة المهمة .(٢٩)

وممن قصدها من اهل العلم والادب محمد بن سعد الله بن نصر بن سعيد ابن الدجاجي ، والمؤرخ عبدالرزاق بن احمد المعروف بالفوطي ، وركن الدين عبدالصمد بن محمد الديلمي القزويني (المولود سنة ٦٥٦هـ او ٦٥٧هـ) فسمع بها من ابن الصباغ ، وحمل اليها محمد بن احمد بن بختيار المعروف بابن المندائي الواسطي المتوفى ٦٠٥هـ وهو طفل وسمع بها(٣٠)

خزانة

ابن الكوفي

ولد ٢٥٤هـ ـ ٨٦٨م

توفى ٣٤٨هـ ـ ٩٦٠م

ابو الحسن علي بن محمد بن عبيد الزبير الاسدي ، كان عالماً مشهوراً بجودة الخط ، واحد افاضل اصحاب « ثعلب النحوي » ممن اتصف بالصدق والثقة في النقل كثير الاهتمام بجمع الكتب مولعاً باقتنائها وكان طالب العلم اذا قال : نقلت من خط ابن الكوفي ، فقد بالغ في الاحتياط ، وكان لابن الكوفي مؤلفات عدة منها : كتاب الهمز ، وكتاب معاني الشعر واختلاف العلماء فيه ، وكتاب الفرائد والقلائد في اللغة ، وقد وصفه ابن النديم بانه « عالم صحيح ، راوية ، جمّاعة للكتب ، صادق في الحكاية ، منقّر بحاث .. » . وللدكتور حسين علي محفوظ جهود ثمينة في التعريف بهذا العالم الجليل اذ عثر بطريق الصدفة على مخطوطة قيمة عن صفة منازل مكة منسوبة لابن الكوفي ، فاهتم من ذلك اليوم بالكتابة عنه وتتبع ترجمته وسيرته ، ومن اهم ما ذكره عن ابن الكوفي : انه رتب خزانته على العلوم ترتيباً خاصاً بارعاً مع تعيين امكنتها ، وانه سبقنا الى استعمال البطاقات والجزازات وهي الرقاع والوريقات التي تعلق بها الفوائد ، التي نسميها اليوم فيش Fiche في التاليف والجمع ، وقد بيعت رقاعه ـ بعد وفاته ـ كل بطاقة بدرهم . والدرهم يساوي ٢١٥ فلساً عراقياً وفق تكسير سعر الدينار العراقي القديم في زمن ابن الكوفي على عشرة دراهم .(٣١)

وكانت وفاة ابن الكوفي ببغداد ثم نقل جثمانه الى النجف الاشرف ودفن بها .(٣٢)

خزانة

لأحد الكوفيين

هذه الخزانة المجهولة الاسم ، لاحد الكوفيين المولعين بجمع الخطوط القديمة ، ولا نعرف من احواله سوى ، انه عاش على ما يظهر ايام الدولة الحمدانية (٣١٧ ـ ٣٩٤هـ/٩٢٩ ـ ١٠٠٣م) .. وقد خصّ صديقه محمد بن الحسين ابن ابي بعرة بخزانة كتبه قبل وفاته ، وهذه الخزانة على ما سيأتي من وصفها خزانة فريدة حوت الكثير من النفائس والمخطوطات القيمة لو لم يعفى عليها الزمن لعدت اليوم مما نعتز به ونفخر .

قال ابن النديم ٦٠ ـ ٦١ « ـ قال محمد بن اسحق : كان بمدينة الحديثة ، رجل يقال له محمد بن الحسن ويعرف بابن ابي بعرة ، جمّاعة للكتب ، له خزانة لم ار لاحد مثلها ، تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والادب والكتب القديمة فلقيت هذا الرجل دفعات فانس بي ، وكان نفوراً ضنيناً بما عنده ، خائفا من بني حمدان ، فاخرج لي قمطراً كبيراً فيه نحو ثلثمائة رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس مصر وورق صيني وورق تهامي وجلود ادم وورق خراساني ،فيها تعليقات على العرب وقصائد مفردات من اشعارهم وشيء من النحو والحكايات والاخبار والاسماء

---

(٢٩) كما في تلخيص مجمع اداب ٤\ق ٤٧٣\٣ ـ ٣٧٤ .

(٣٠) راجع عن ابن الاقساسي وخزانته : العمدة لابن عنبة، وتلخيص مجمع الاداب \ ٤ ق ٤ \ ٦٢٩ والمسجد المسبوك \ ٤٥ ، تجارب السلف \ ٣١٠ ، الدرجات الرفيعة (للسيد علي خان) \ ٥٠٥ والحوادث الجامعة \ ٢٢٠ . نقباء الكوفة ـ خ ـ

(٣١) راجع بحث الدكتور محفوظ : (قصة المخطوط النادر) مجلة الاقلام البغدادية ج ٧ س ١ اذار ١٩٦٥ (١٣٥ ـ ١٤٠) وفيه يتعرض لجهوده العلمية في التعريف بابن الكوفي !

(٣٢) ينظر بشان ابن الكوفي ايضا : معجم ادباء ٣٢٦\٥ . بغية الوعاة . الفهرست \ ١١٧ مصر . رجال النجاشي \ ٦٨ ايران خزائن الكتب القديمة \ ٢٢١ . رجال بحر العلوم ١٥٩\٣ ـ ١٦٢ .

والانساب وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم . وذكر ان رجلا من اهل الكوفة ذهب عني اسمه كان مستهتراً بجمع الخطوط القديمة ، وانه لما حضرته الوفاة خصه بذلك لصداقة كانت بينهما وافضال من محمد بن الحسين عليه ومجانسة فرأيتها وقلبتها فرأيت عجباً ، الا ان الزمان قد اخلقها وعمل فيها عملا ادرسها واحرفها وكان على كل جزء او ورقة او مدرج توقيع بخطوط العلماء واحداً اثر واحد ، فذكر فيه خط من هو ، وتحت كل توقيع وتوقيع آخر بخمسة وستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض ورأيت في جملتها مصحفاً بخط خالد بن ابي الهياج صاحب علي رضي الله عنه ثم وصل هذا المصحف الى ابي عبدالله بن حاني رحمه الله ، ورأيت فيها بخطوط الامامين الحسن والحسين . ورأيت عنده امانات وعهوداً بخط امير المؤمنين علي عليه السلام ، وبخط غيره من كتاب النبي صلى عليه وسلم ، ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل ابي عمرو بن العلاء، وابي عمرو الشيباني ، والاصمعي ،وابن الاعرابي وسيبويه ، والفراء ، والكسائي ، ومن خطوط اصحاب الخطوط مثل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري والاوزاعي وغيرهم . ورأيت ما يدل على ان النحو عن ابي الاسود ما هذه حكايته وهي اربعة اوراق احسبها من ورق الصني ترجمتها هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الاسود رحمة الله عليه بخط يحى بن يعمر ، وتحت هذا الخط بخط عتيق : هذا خط فلان علان النحوي وتحته : له خبراً ولا رأيت منه غير المصحف ، هذا على كثرة بحثي عنه .. »

من خزانات كتب اعلام الكوفة

حظيت الكوفة بجمهرة كبيرة من الاعلام المشاهير في مختلف العلوم وشتى الفنون والاداب وواكبت بعض هؤلاء الاعلام ظروف خاصة ، من ابرزها رغبتهم في الاستزادة من المعارف والعلوم والاطلاع على الكتب النادرة او الاتصال باساتذة اكفاء ليرضوا بذلك طموحهم ومن اجل ذلك كانوا يتنقلون في الامصار والحواضر الاسلامية ، وبديهي ان لاغلب هؤلاء كانت خزانة كتب حافلة بالاسفار القيمة ، بل لو لم تكن لديهم سوى مصنفاتهم لكونت خزانات كتب قيمة ، ولما كانت قد دونت اخبار خزانات الكتب المتواتر على وجودها بالكوفة اضفت لها خزانتي الكندي الفيلسوف ، وثعلب النحوي وهم من انجبتهم الكوفة وانتقلوا بعد حين الى بغداد ، فاقاموا بها بقية حياتهم .. وقد آثرت ذكرها توخيا للفائدة ...

خزانة

ثعلب

ولد ٢٠٠هـ ـ ٨٥١م

توفى ٢٩١هـ ـ ٩٠٣م

ابو العباس احمد بن يحى بن زيد وهو النحوي المشهور بـ (ثعلب) مولى بني شيبان ، وهو ثالث ثلاثة بعد الكسائي والفراء قامت على اعمالهم مدرسة الكوفة النحوية ، وعد في عصره مرجع اهل الكوفة في رواية اقوال الكسائي والفراء ، ولثعلب مؤلفات عديدة وللاسف ان اكثر ما نسب اليه منها لم يبق منها الا عنواناتها ومن كتبه : اختلاف النحويين ـ معاني القرآن ـ ما تلحن فيه العامة ـ شرح ديوان الاعشى ط ـ ما ينعرف وما لاينعرف ـ المجالس ط ـ قواعد الشعر ط ـ شرح ديوان زهير ط ـ كتاب الفصيح ط .. الخ كتبه التي تبلغ اكثر من اربعين كتاباً .

اما خزانة كتبه فقد بيعت بعد وفاته . قال ياقوت : ان ثعلباً خلف كتباً جليلة فاوصى الى علي بن محمد الكوفي احد اعيان تلاميذه ، وتقدم اليه في دفع كتبه الى ابي بكر احمد بن اسحاق القطربلي فقال الزجاج للقاسم بن عبيد الله : هذه كتب جليلة ، فلا تفوتك ، فاحضر خير ان الوراق فقدم ما كان يساوي عشرة دنانير بثلاثة فبلغت اقل من ثلثمائة دينار ، فاخذها القاسم بها .(٣٣)

---

(٣٣) راجع عن ثعلب : انباه الرواة ١٢٨\١ . بغية الوعاة ٣٩٦\١ . طبقات القراء ١٤٨\١ . طبقات المفسرين \ ٤١ مرآة الجنان ٢١٨\٢ . غاية النهاية ٤٥\١ . روضات الجنات ٥٦\١ . شذرات الذهب ٢٠٧\٢ . تذكرة الحفاظ ٢١٤\٢ فهرست ابن النديم \ ١١٠ . تاريخ بغداد ٢٠٤/٥ . نزهة الالباء /٢٩٣ . تهذيب اللغة ٢٣٥\٢ . معجم الادباء ١٠٢\٥ اللغة \ ٣٤ . طبقات الزبيدي \ ١٥٥ ـ ١٦٧ .

خزانة

الكـندي

ولد حدود ١٨٨هـ — ٨٠٣م

توفى حدود ٢٦٠هـ — ٨٧٣م

ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي ، فيلسوف العرب الاول ، تلقى العلم في مسقط راسه الكوفة وفي بغداد ونال شهرة واسعة بما ألّفه من الكتب في مختلف فروع المعرفة والادب والفلسفة ، وذاع صيته في عصر المأمون والمعتصم ، الخليفتين العباسيين وقد خلف من نتاجه الفكري (٢٦٥) مقالة وبحثاً في علوم الحساب والهندسة والنجوم والفلك والانواء والجغرافية والطبيعة والسياسة والموسيقى والطب والفلسفة ، وجنح الكندي الى مذهب (الاعتزال) فلما تحول الفكر وظهر العداء للمعتزلين صودرت خزانة كتبه ، واصبح قاب قوسين او ادنى من الموت اغتيالا ، غير ان العاصفة مرّت به فلم تحصد مع من حصدت من اهل الاعتزال .

وتعد خزانة الكندي من الخزائن النفيسة اهتم بجمعها واستنساخها والحصول عليها اهتماماً بالغاً ، فكانت مطمح نظر معاصريه لتنوعها وتفردها بالكتب النادرة ، وكانت احدى اسباب الوشاية به والظغينة عليه وكان اكثر الناس حسداً له محمد واحمد ابناء موس بن شاكر فانهما دبرا له مكيدة ، فباعداه عن المتوكل واخذا كتبه فافرداها في خزانة خاصة سميت « الكندية » وقد ساق مفصل هذا الخبر ابي جعفر محمد بن يوسف الكاتب في كتابه المكافأة وحسن العقبى واشار الى ان الكندي استرد خزانته بعد ان ظهر زيف ما ادعاه عنه ابناء موس بن شاكر .(٣٤)

مكتبات المساجد الاسلامية

يعتبر المسجد من مظاهر الحضارة وعناصرها في الاسلام لاهميته الكبيرة في الحياة الدينية والسياسية والفكرية ، ففيه تقام فرائض الدين وفيه يبايع الخلفاء والامراء وتبحث امور الحرب والسلم ، وكثيراً ما تحدث فيه التجمعات السياسية ، وكان الامير يعلن فيه ما انيط به من امر وما اعتزمه .. وبقي المسجد الى اواخر القرن الثالث الهجري على الاقل المدرسة التي يتلقى فيها الناس العلم والمعرفة ، ويلتقي فيه العلماء والادباء فيتناقشون او يلقون المحاضرات في حلقاتهم وينشرون علمهم، كما يقوم القصاصون والوعاظ بوعظ الناس وارشادهم وتبصيرهم بمبادىء الدين الاسلامي . وقد صنف الكثير من الكتب في المساجد الاسلامية ويؤكد ذلك المخطوطات الكثيرة المنتشرة في انحاء العالم وفيها يشير ، مؤلفوها او ناسخوها بأنها الفت او نسخت في عدد من المساجد . كما ان كتب التاريخ والتراجم تزخر باخبار العلماء والفقهاء والادباء الذين اتخذوا من المساجد امكنة فيها يتزودون بالعلوم والمعارف وفيها يقيمون ويعيشون ،ويدرسون ويتدارسون ويؤلفون آثارهم الفكرية ، ومن اجل ان يحقق المسجد مطامح مريديه ، وييسر عملهم العلمي فقد الحقت فيكل مسجد مكتبة عامرة تضم عدداً وفيراً من الكتب في مختلف مواضيع الادب والعلم ، وتسابق الناس الى تزويد المساجد بالكتب وكان بعض المسلمين يؤلفون الكتب ويضعونها في المساجد كوقف لتعم فائدتها بين الناس ، ويكسب بها المؤلف الاجر والثواب ، كما يحافظ على كتبه من ان تبددها الايدي ، وهكذا صارت بعض المساجد اشبه بالاكاديميات الثقافية ،وكان لهذا الاثر الكبير في نجاح الدرس والتدريس والبحث والتصنيف .

وفي الكوفة عدد كبير من المساجد الاسلامية وهي منبثة في مختلف ارجائها وفي جميع طرقها ومحلاتها واسواقها(٣٥) ، وفي هذه المساجد تعقد

(٣٤) راجع المكافاءة وحسن العقبى \ ١٩٥ — ١٩٨، والكندي اشهر من ان يذكر وقد طبعت اكثر كتبه التي عثر عليها وصدرت عن الكندي وفلسفته وشخصيته الكثير من الدراسات وابحاث باكثر اللغات الحية .

(٣٥) من اهم المساجد الاسلاميه في الكوفة والتي حافظت على كيانها ومركزها حتى الوقت الحاضر هو المسجد الجامع الشهير بهذه المدينة ، ومسجد السهلة ويرتقي عهدها الى مستهل القرن الاول الهجري ، ومن مساجدها الصغيرة الباقية : مسجد الحمراء ، مسجد الحنانة ، مسجد زيد بن صوحان ، مسجد صعصعة بن صوحان ، ومن مساجد الكوفة المندثرة : مسجد الانصار ، مسجد جهينة ، مسجد كندة ، مسجد ثقيف ، مسجد تميم ، مسجد بني اسد ، مسجد مخزوم ، مسجد عبس ، وهي من المساجد القبلية ، ومن مساجد العلماء : مسجد ابي اسحاق السبيعي ، مسجد حمزة الزيات ، مسجد ابراهيم النخعي ، ومن مساجد المحلات مسجد ←

الحلقات العلمية للدرس والمناظرة والوعظ واشهر مساجد الكوفة صيتاً ، واكثرها شهرة المسجد الجامع والذي ما زال عامراً بالحياة زاخراً بالعمران ، ويمكننا القول بأن خزانة كتب حافلة بنوادر المخطوطات كانت في هذا المسجد الشريف ، ويؤيدنا في ذلك كثرة ما وردنا من انباء المحاضرات والمناظرات التي كان يغص بها المسجد يومياً بين العلماء والمحدثين والادباء وفي كتب التاريخ والادب ادلة واضحة على هذا النشاط الواسع(٣٦) . ومما يؤيدنا ايضاً ان اسحاق بن مرار الشيباني وهو من اللغويين الكوفيين (توفي سنة ٢٠٦هـ ـ ٨٢١م) انه جمع اشعار نيّف وثمانين قبيلة من العرب ودونها وكان كلما عمل منها قبيلة اخرجها الى الناس في (مجلد) وجعلها في مسجد الكوفة(٣٧) ولا نستبعد وجود خزانة كتب مماثلة في (قصر الامارة) تضم ما يحتاجه والي الكوفة ومنتسبي القصر ، من مراجع وكتب تعينهم على مراجعة الاحكام والاستمتاع بالقراءات لاسيما ان الكثيرين من ولاة الكوفة كانوا انفسهم من الشعراء او الادباء.

مكتبات الاديرة والكنائس

انتشرت في الكوفة وضواحيها اديرة وكنائس نصرانية عديدة وكانت هذه المراكز تجمع الى وظيفتها الدينية وظائف اجتماعية اخرى ، منها الدور الثقافي الذي تؤديه ويتمثل بما كانت تحفل به من نوادر المخطوطات ونفائس الكتب والتصانيف ،فكان كل دير يختص بخزانة كتب مفتوحة لرواد الدير وزواره من مختف الملل والنحل فهذا مؤرخ مسلم من اعلام الكوفة ومن مؤرخيها المشهورين كن يتردد على مكتبات الاديار الكوفية ومنها (بيع الحيرة) فقد حدّث الطبري عنه بانه قال : « اني كنت استخرج اخبار العرب وانساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ اعمار من عمل منهم لال كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وامورهم كلها . .»(٣٨)

وقد وصف الاستاذ عواد مكتبات الاديرة بانها كانت تضم مجموعة من التآليف التي تتناول موضوعات دينية وادبية وعلمية مختلفة كالكتب المقدسة وتفاسيرها ، والفلسفة واللاهوت ، وسير الشهداء والقديسين ، والحياة الكنسية، والعبادات والطقوس الدينية ، والادب والشعر، وغير ذلك مما تحفل به رفوفها ، وكانت خزانة الكتب مع الباحثين من الرهبان ، فيها يطالعون وفيها يؤلفون وفيها ينسخون . .(٣٩)

المطمورة ، مسجد خطة سعد بن همام ، مساجد الكناسة وغيرها وتبلغ مساجد الكوفة التي استوفينا عنها البحث في كتابنا (مساجد الكوفة ومشاهدها) حوالي تسعين مسجداً عدا المشاهد المقدسة .

(٣٦) كان هذا النشاط مدعاة لازدحام الناس ، ولما ولى زياد بن ابيه الكوفة سنة (٥٠هـ ـ ٦٧٠م) لاحظ ذلك فزاد في سعة المسجد وجعله يتسع لستين الف شخص (ياقوت : معجم البلدان ٧\٢٩٧) اما النشاط العلمي الذي شهده مسجد الكوفة فقد اشتهر بكونه مدرسة لاقراء القرآن الكريم وفيه كان شيوخ الاقراء يجلسون فيلقنون طلاب العلم القراءات التي رووها باسانيدهم ، وكان عبدالله بن حبيب اول من جلس لاقراء القرآن في مسجد الكوفة ومن القراء الذين تخرجوا في هذا المسجد حمزة الزيات احد اصحاب القراءات السبعة ، وشيبان بن ثعلبة الكوفي وفي هذا المسجد ظهرت بوادر مبادىء الفقه المبني على التجرد واستنباط مفهومه من الكتاب والسنة ، وفيه ظهرت مدرسة لتفسير القرآن وكان من اساتذتها سعيد بن جبير المستشهد سنة ٩٤هـ . وكان مسجد الكوفة محلا لانشاد الشعر ونقده والتلاحي فيه وفي علوم العربية الاخرى . ففيه جرت مناظرة ثعلب مع محمد بن حبيب وجرى فيه مجلس الكميت مع حماد والطرماح وغيرهما (ذكرهما الزجاجي في مجالس العلماء (٩٧ ـ ٩٨) (٢١٦ ـ ٢١٧) وفي الاغاني ١٥\١١٣ وفي طبعة ٢\١٧ ـ ٣ اشار لذلك ، وفي مسجد الكوفة انشد عمر بن حماد عجرد قصيدة لوالده (تاريخ ابن عساكر ٤\٤٢٥) وكان الكميت يعلم الصبيان في مسجد الكوفة (الاغاني ٢\١٧ ـ والشعر والشعراء \ ٤٨٥) ومما يدل على ان المسجد الجامع في الكوفة كان مجمع القوم ومحل تواجدهم انظر الاحداث الواردة في الفاضل للوشاء ٢\٣٧ ـ ٣٨ . الاغاني ١\٣٥٥ و ١٢\٣٧ ـ ٣٩ عيون الاخبار ٢\٢٥٩ . حلية الاولياء ١\٢٧٠ ـ ٢٨٣ و ٧/٢٢٠ . الجماهر للبيروني ١/٦٩ اخبار شعراء الشيعة \ ٨٦ . النجوم الزاهرة ١\٣٠٨ .

(٣٧) الاعلام للزركلي ١\٢٨٩ وفي نزهة الالباب جاء النص هكذا عن عمرو بن ابي عمرو الشيباني (اسحاق بن مرار) قال : « لما جمع ابي اشعار العرب كانت نيفا وثمانين قبيلة وكان كلما عمل منها لقبيلة واخرجها للناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه » وهو مغاير للاول انظر ص : ٧٨ من طبعة د ـ السامرائي ـ بيروت ١٩٧٠ .

(٣٨) تاريخ الطبري ١\٦٢٨ القاهرة ١٩٦٠ . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . ط ١ .

(٣٩) مقدمة كتاب الديارات \ ٤٩ ط الثانية بغداد ١٩٦٦ وانظر الخزائن / ٧٨ ـ ١٠٠ واللؤلؤ المنثور / ٢٢ ـ ١٨٦ و ٤٧٣ ـ ٤٨٤ . عصر السريان الذهبي \ ٥٦ ـ ٥٧ وفي ذلك حديث واف عن المكتبات الديرانية .